الأيوبيون في اليمن
(٥٦٩ـ ٦٢٥هـ/١١٧٣ـ١٢٢٧م)

أ.م.د.مصعب حمادي نجـم الزيدي
قسم التاريخ
كلية العلوم الإسلامية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/٩/٢٥ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٣/٢/٢٠

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة الوجود الأيوبي في اليمن ٥٦٩-٦٢٥هـ/١١٧٣-١٢٢٧م، أثر الفوضى السياسية التي أحدثتها الدويلات المتنازعة والمتنافسة فيما بينها على السلطة مما أدى إلى تفكك وحدة البلاد السياسية وانتشار المذاهب الدينية المختلفة فيها مستغلة بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية في بغداد .

كما تضمن البحث مناقشة الحملات العسكرية المتعاقبة التي أرسلها الأيوبيين إلى اليمن بهدف اخضاعها لسيطرتهم وإعادتها لسلطة الدولة العباسية ، وأولها كانت حملة الملك المعظم تورانشاه الأيوبي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، حتى الحملة الأخيرة التي قادها الملك المسعود بن الكامل الأيوبي سنة ٦١١هـ/١٢١٤م ، فضلا عن الانجازات التي شهدتها اليمن خلال الحكم الأيوبي الذي دام ست وخمسين سنة وانتهى بقيام الدولة الرسولية سنة٦٢٦هـ/١٢٢٨م.

Al-Ayoobians in Al-yaman
569 – 625 *A.H* /1173 – 1227 *A.D*.

Asst. Prof. Dr. Musab H.N. AL-Zeadi
Department of History
College of Islamic Science / Mosul University

Abstract:

This paper deals with the Ayoobians existence in Al-yaman (569 – 625 *A.H* /1173 – 1227 *A.D*.) after the political chaos that caused by the quarrled states on authority Which led to tear the unity of the land and the spread of different religious groups exploiting the remoteness of Al-yaman from the center of Abbasian succession in Baghdad. The paper also involves the successive military campaigns that Ayoobians have sent to subguqate them under their control . And the first one was of the great king Turanshah

Al-Ayoobi which is led by the king Al-Maswood binAl-malik Al-Kamil Al-Ayoobi. In addition to the achievements that AL-yaman has witnessed during AL-Ayoobian age which lasted fifty six years and ended with the establishment of AL-Rasuliastate 626 *A.H* /1228 *A.D*.

هدف البحث:

يتناول هذا البحث دراسة الوجود الأيوبي في اليمن٥٦٩-٦٢٥هـ/١١٧٣-١٢٢٧م لمدة دامت أكثر من نصف قرن من الزمن، ولا أدعي أني أول من كتب عن اليمن وإنما سبقني في هذا المجال بعض الباحثين الذين كتبوا عن تاريخها عبر العصور المختلفة والذين ذكرت أسماؤهم ومؤلفاتهم في هوامش البحث ولكني حاولت في هذه الدراسة تسليط الضوء فقط على اليمن خلال حقبة السيطرة الأيوبية دون غيرها من حقب التاريخ الإسلامي التي مرت بها تلك البلاد ، كما تناولت الموضوع بصورة مغايرة من حيث تتبع الأحداث التاريخية المتعلقة بزمن البحث ومضمونه الذي ضم في ثناياه مناقشة الحملات العسكرية المتعاقبة التي أرسلها الأيوبيون إلى اليمن بهدف اخضاعها لسيطرتهم ونجحوا فعلاً في إعادتها لسلطة الدولة العباسية ، هذا فضلا عن الاشارة إلى الأعمال والانجازات في المجالات الإدارية والعمرانية الدينية والعلمية والعسكرية التي شهدتها اليمن خلال عهود حكامها من أبناء الأسرة الأيوبية .

أولاً : اليمن قبيل حكم الأيوبيين وسياستهم تجاهها .

قبل الخوض في موضوع البحث لا بد من إلقاء نظرة سريعة على اليمن وعرض تاريخها قبيل الحكم الأيوبي لإعطاء صورة واضحة للقارىء عن تلك البلاد التي استقصتها هذه الدراسة التي هي محور حديثنا على مدارالصفحات القادمة .

قبيل قدوم الأيوبيين إلى بلاد اليمن كان يحكمها ثلاث دويلات متنازعة ومتنافسة فيما بينها على السلطة هي دولة بني زريع(٤٧٦-٥٦٩هـ/١٠٨٣-١١٧٣م) في عدن[١] ودولة بني مهدي (٥٥٤-٥٦٩هـ/١١٥٩-١١٧٣م) في زبيد[٢] ودولة بني حاتم (٤٩٢-٥٦٩هـ/١٠٩٩-١١٧٣م)في صنعاء[٣] ونظراً لبعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية في بغداد وطبيعة البلاد الجبلية الوعرة فقد لجأ اليها الخارجون عن الدولة العباسية محاولين الاستقلال عنها ونشر مذاهبهم المختلفة بعيدا عن أنظارها وهذا بطبيعة الحال أدى إلى تفكك وحدة البلاد السياسية وظهور الدويلات المستقلة فيها[٤].

أما في العصر الأيوبي فيدخل ضم اليمن ضمن السياسة التي اعتمدها الناصر صلاح الدين الأيوبي(٥٦٥-٥٨٩هـ/١١٦٩-١١٩٣م) في جنوب شبه الجزيرة العربية لتحقيق عدة أهداف لعل من أهمها :

١- التضييق على أنصار الفاطميين في اليمن ولا سيما أن حاكمها عبدالنبي بن مهدي كان يتبع خليفة مصر الفاطمي .

٢- أراد صلاح الدين الأيوبي من ضم اليمن دعم مركزه السياسي والعسكري وتأمين حدود مصر الجنوبية لأن ضم اليمن الذي يعد مفتاح البحر الأحمر من ناحية الجنوب يؤمن له السيطرة عليه لأهميته الاقتصادية ويقلل أي احتمال لحدوث تقارب بين الصليبيين الذين يتطلعون إلى السيطرة على البحر الأحمر وبين الحبشة التي تعتنق الديانة النصرانية حتى لا يقع بين فكي الكماشة الصليبية على سواحل البحر المتوسط في الشمال والأحباش على سواحل البحر الأحمر في الجنوب .

٣- كانت اليمن آنذاك تمـــر بمـــرحلة عدم استقرار تتنازعها الأهواء السياسية والدينية والمذهبية ولا سيما بين مدينتي زبيد وصنعاء ، كما ظهر داع زعم انه المهدي المنتظر وهو عبد النبي بن مهدي وتغلب على اليمن وخطب لنفسه بعد ان قطع الخطبة للعباسيين وتسمى بالإمام وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة وأمر أهل اليمن بالحج اليها ومنعهم من الحج إلى مكة المكرمة[٥] وروى مؤرخ الدولة الأيوبية ابن واصل أن "ابن مهدي الضال الملحد المبتدع المتمرد له أثار في الإسلام وثأر طالبه النبي (عليه الصلاة والسلام) لأنه سبا الشرائف الصالحات وباعهن بالثمن البخس واستباح منهن كل مالا يقر عليه نفس ودان ببدعة صعبة ودعا إلى قبر أبيه وسماه كعبة وأخذ أموال الرعايا وأباحها ، وأحل الفروج المحرمة وأباحها"[٦] وليس ذلك فحسب بل ذكر سبط ابن الجوزي المؤرخ الثاني المعاصر للأيوبيين " وكان أبوه المسمى بالمهدي قد فتح البلاد وقتل خلقا كثيرا ، وشق بطون الحوامل، وذبح الأطفال على صدورهن ، وكان يرى رأي القرامطة ، ويظهر أنه داعية لأهل مصر، ويستتر باليمن ، وكان قد مات قبل دخول شمس الدولة اليمن بسنين ، وملك بعده ولده عبد النبي، ففعل باليمن ما فعله أبوه ، وسبى نساءهم واستعبدهم"[٧] فضلا عن "أن عبد النبي بن مهدي قد ملك كثيرا من بلاد اليمن ، ودانت له قبائلها واستولى على حصونها"[٨] .

٤- رغبة الناصر صلاح الدين الأيوبي في وضع حد لهذه التجاوزات التي تهدد وحدة المسلمين ولا سيما بعد أن أرسل اليه أهل اليمن يستنجدون به لإنقاذهم[٩] بدليل ما قاله ابن شداد كاتب سيرة صلاح الدين الأيوبي " رأى السلطان قوة عسكره وكثرة عدد أخوته وقوة بأسهم ، وكان بلغه أن باليمن انسانا استولى عليها وملك حصونها" [١٠] .

٥- الطموح الشخصي لتورانشاه[١١] في الحصول على إقطاع خاص به ولا سيما أن أقطاعه بمصر كان لا يغطي نفقاته ولا ينهض بمرؤته ، فقد كان أخوه الناصر صلاح الدين الأيوبي قد سيره في سنة٥٦٨هـ/١١٧٢م إلى بلاد النوبة [١٢] ليفتحها قبل سيره إلى اليمن ، فلما وصل اليها وجدها لا تساوي المشقة فتركها ورجع إلى بلاد الشام[١٣] .

٦- حرص الناصر صلاح الدين الأيوبي في ذلك الدور الذي دبت فيه الوحشة بينه وبين سيده السلطان نور الدين زنكي (٥٤١-٥٧٠هـ/ ١١٤٦-١١٧٤م) على " تحصيل مملكة يقصدونها

ويملكونها وتكون لهم عدة "، وذلك إذا دخلت جيوش السلطان نور الدين زنكي مصر وطردت منها صلاح الدين وأهله ، لذلك " استقر الرأي بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن ، حتى إذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فإن قووا على منعه أقاموا بمصر ، وإن عجزوا عن ذلك ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي افتتحوها"[١٤]على أن هذه الرواية انفرد بها المؤرخ ابن الأثير وهو متهم في كثير مما كتبه عن العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين وربما يكون سبب ذلك هو أن ابن الأثير من أصل موصلي من موطن نور الدين.

ثانياً :الحملة الأيوبية للسيطرة على اليمن.

ومهما يكن من أمر فقد وجه الناصر صلاح الدين الأيوبي أخاه الأكبر الملك المعظم شمس الدين تورانشاه الأيوبي إلى اليمن بهدف إخضاعها إلى سيطرة الدولة العباسية في الوقت الذي كان في مصر شاعر اسمه عمارة اليماني[١٥] يخطط للانقلاب على حكم الناصر صلاح الدين وإعادة حكم الدولة الفاطمية ، فأغرى تورانشاه بتلبية رغبة أخيه وشجعه على المضي قدما إلى اليمن لإبعاده عن مصر ، فحدثه عن بلاد اليمن ووصف له كثرة أموالها وهون أمرها عنده وأغراه بأن يستبد بملك اليمن ، وعظم ذلك في عينه فزاده قوله رغبة فيها، فشرع يعد العدة ويتجهز بالأزواد والسلاح والآلات وجند الأجناد وحشد استعدادا لحرب اليمن[١٦] ولا يستبعد أن تكون خطة عمارة اليمني صرف أنظار الأيوبيين عن مصر أو تفريق قواهم بين أكثر من جهة لكي تتاح الفرصة لإحياء الخلافة الفاطمية في القاهرة .

ومن الجدير بالذكر أن عمارة اليماني كان قد القى قصيدة طويلة مدح فيها تورانشاه وحرضه على المسير إلى اليمن وامتلاكها ، لدرجة أن بعض المؤرخين عد هذه القصيدة السبب المباشر وراء اقدامه على ذلك العمل نورد منها الابيات الآتية :

العلم مذ كان محتاجاً إلى العلم — وشفرة السيف تستغني عن القلم
كم يترك البيض في الأجفان ظامئة — إلى الموارد في الأعناق والقمر
ومقلة العزم نحو المجد شاخصة — فاترك قعودك عن إدراكها وقم
أمامك الفتح من شام ومن يمن — فلا ترد رؤوس الخيل باللجم
فعمك الملك المنصور سومها — من العراق إلى مصر بلا سأم[١٧]

وله من قصيدة أخرى :

قالوا إلى اليمن الميمون رحلته — فقلت ما دونه شيء سوى السفر
سير يسر بني الدنيا وطيب ثنا — وطول عمر كذا يحكى عن الخضر
لا توقدن لها النار التي خمدت — خفض عليك تنل ما شئت بالشرر

المال ملء يد والقوم ملك يد ولا أطيل وهذا جملة الخبر[١٨].

وعليه توجه تورانشاه من مصر إلى اليمن على رأس حملة عسكرية بلغتعدادها ثلاثة آلاف مقاتل في مستهل شهر رجب سنة٥٦٩هـ/١١٧٣م ، يرافقه أمراء أسرة بني رسول[١٩] فوصل إلى مكة المكرمة واعتمر بها ثم سار منها إلى اليمن فوصل أول الأمر إلى قرية تدعى صبيا وملكها دون مقاومة تذكر[٢٠] وتوجه منها إلى مدينة زبيد التي كان يحكمها بنو مهدي[٢١] فوصلها في شوال/ أيار من السنة ذاتها وضرب عليها حصارا لإرغام أهلها على الاستسلام وتسليم المدينة له ، ولم يستطع الأهالي مقاومة الهجوم الأيوبي فانهزموا وتمكن المهاجمون من الوصول إلى السور المحيط بالمدينة فلم يجدوا عليه من يمنعهم فنصبوا السلالم وارتقوا السور ثم دخلوا المدينة بقوة السلاح وأخذوا حاكمها عبد النبي أسيرا هو وزوجته ، وهدموا القبة التي أقامها على قبر أبيه وأقام الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م) ، ثم أطلق سراح الحرة زوجة عبد النبي بعد أن بلغ تورانشاه انها " كانت امرأة صالحة كثيرة الصدقة لا سيما إذا حجت فإن فقراء الحاج كانوا يجدون عندها صدقة دارة ، وخيرا كثيرا ، ومعروفا عظيما"[٢٢] ولم يكتف تورانشاه بإطلاق سراحها بل أحسن اليها وأقطعها إقطاعا كي يعينها على معاشها[٢٣] في حين ذكر أحد المؤرخين المتأخرين رأيا غير صحيح بأن عبد النبي قتل في ميدان المعركة وأسر جميع أسرته ثم قتلهم جيش تورانشاه بعد أيام وزالت على أثرها دولة بني مهدي من مدينة زبيد[٢٤] .

وبعد تحقيق هذا النصر الحاسم على دولة بني مهدي وانهيارها أصبح الحاكم الفعلي في اليمن(٥٦٩-٥٧٤هـ/١١٧٣-١١٧٨م) وتلقب بالملك المعظم وخطب له بذلك بعد الخليفة العباسي المستضيء في جميع المناطق التي فتحها في اليمن وبعث إلى القاهرة بذلك ، فارسل الناصر صلاح الدين إلى نور الدين زنكي يعلمه بالأمر والذي بدوره بعث بالخبر إلى الخليفة المستضيء ببغداد[٢٥]ثم عين الملك تورانشاه سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ صاحب شيزر[٢٦] ومنحه الصلاحيات كافة في حكم مدينة زبيد،وبذلك " عادت زبيد إلى أحسن ما كانت عليه من العمارة والأمن " حسب قول ابن الأثير[٢٧].

وبعد أن سيطر الأيوبيون على مدينة زبيد أخذت المدن والحصون الأخرى تسقط الواحدة تلو الأخرى وانطلق الجيش الأيوبي بقيادة تورانشاه لاستكمال العمليات العسكرية في سائر أنحاء اليمن فاتجه من زبيد إلى حصن الجند [٢٨] واستولى عليه ثم توجه بعدها للاستيلاء على عدن التي تعد من أمنع البلاد وأحصنها بفضل التحصينات التي وضعها حكامها بنو زريع ، وكان أخرهم ياسر بن بلال قد ارتكب خطأ كبيرا عندما خرج لقتال تورانشاه خارج الأسوار لأنه لو تحصن داخل الأسوار لأصبح من الصعوبة اقتحامها لا سيما وأن الامدادات كانت تأتيها من البحر ، وعندما دارت المعركة بين الجانبين كانت نتيجتها في صالح الأيوبيين إذ هزم بلال وحاول الهرب واللجوء إلى الأسوار للاحتماء بها إلا أن الجيش الأيوبي كان أسرع منه ، فتمكن من دخول المدينة والاستيلاء

عليها وأسر حاكمها ياسر وحاول الجند نهبها ، لكن تورانشاه أصدر أوامره بمنعهم من ذلك وقال " ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها ، فلم ينهب أحد منها شيئا فبقيت على حالها وثبت ملكه واستقر أمره"[٢٩] وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجيش الأيوبي عندما دخل عدن كان قد أصطحب معه عبد النبي بن مهدي مأسورا فقال : " سبحان الله ، قد كنت اعلمت أني أدخل عدن في موكب عظيم ، فانا أنتظر ذلك وأسر به ، ولم أكن أعلم أنني أدخلها على هذه الحالة "[٣٠].

وعندما فرغ تورانشاه من أمر عدن توجه لإخضاع بقية المناطق في بلاد اليمن فهاجم المصنعة[٣١] في سنة٥٧٠هـ/١١٧٤م ، وأخذها من حاكمها الشيخ محمد بن زيد الجنبي ثم سار إلى ذمار[٣٢] ودخلها وأقام بها أياما ، وبعدها اتجه إلى صنعاء التي كان يحكمها آنذاك علي بن حاتم اليامي، وخاض الجيش الأيوبي معركة حاسمة أمام أبوابها ضد قبيلة جنب وحلفائها من القبائل الاخرى وحاول تورانشاه رفع معنويات جنده ومواصلة القتال حتى تحقيق النصر قائلاً : " قاتلوا انفسكم والا أخذتكم العرب ، وأين أنتم عن ديار مصر " وكان من نتائج المعركة هزيمة قاسية قدرت الخسائر البشرية بتسعمائة قتيل من أبناء قبيلتي جنب والأيهم وانهزم الباقون إلى هران[٣٣] ولما علم حاكمها علي بن حاتم اليامي بإنباء الكارثة أدرك عدم قدرته على قتال جيش تورانشاه فجمع أمواله واتجه إلى حصن براش بعد ان خرب سور صنعاء في الوقت الذي كان قد وصل فيه تورانشاه إلى صنعاء فدخلها وأقام فيها أياما ونظم أمورها[٣٤] وبعدها هاجم تعز[٣٥] وغيرها من المعاقل والحصون التابعة لبلاد اليمن وتمكن من إحكام سيطرته عليها جميعا وطيلة حكمه في اليمن كان " نوابه هنالك يحملون اليه الأموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل ، وكان أجود الناس وأسخاهم كفا ، يخرج كل ما يحمل اليه من أموال اليمن"[٣٦] فضلا عن " أنه كان كريما، حسن الأخلاق ، سمعت منه يعني من صلاح الدين رحمه الله تعالى ، الثناء على كرمه ومحاسن أخلاقه ، وترجيحه إياه على نفسه) [٣٧] .

والجدير بالذكر أن الفتح الأيوبي لبلاد اليمن كان أعظم حدث في تاريخ العرب الوسيط ، فقد وحد كلمة أمراء البيت الأيوبي في اليمن ومصر وبلاد الشام والجزيرة وتعاقب على حكمها عدد من ملوك وأمراء الأسرة الأيوبية لمدة تجاوزت نصف قرن من الزمن(٥٦٩-٦٢٥هـ/١١٧٣-١٢٢٧م) [٣٨] .

وما أن استتبت الأوضاع في اليمن حتى قام تورانشاه بتنظيم شؤونها الإدارية وعين النواب على المقاطعات فاستناب بعدن الأمير عثمان الزنجبيلي[٣٩] والأمير سيف الدولة مبارك بن منقذ الكناني[٤٠] على زبيد وجعل ياقوت التعزي على تعز وأعمالها وجعل مملوكه مظفر الدين قايماز على جبلة ونواحيها ، وجعل في كل قلعة نائبا من أصحابه وأحسن إلى أهل البلد وأقام العدل فيهم، فعمرت البلاد وأمنت[٤١] ثم بدأ بعدها يفكر بترك اليمن والعودة إلى وطنه بلاد الشام ويسوق لنا ابن خلكان أسباب عزمه على مغادرتها قائلا: " ولما تمهدت بلاد اليمن لشمس الدولة واستقامت له

الأمور كره المقام بها لكونه تربية بلاد الشام ، وهي كثيرة الخير واليمن بلاد مجدبة من ذلك كله، فكتب إلى أخيه يستقيل منها ويسأله الاذن له في العودة إلى الشام ويشكو حاله وما يقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج اليها"[٤٢].

وعليه أرسل إلى الناصر صلاح الدين الأيوبي يستأذنه بالقفول وكتب قصيدة من نظم شاعره المعروف بابن المنجم المصري يعلمه فيها بشوقه وحنينه إلى بلاد الشام نقتطف منها الأبيات الآتية:

الشوق أولع بالقلوب وأوجع فعلام أدفع منه مالا يدفع
وحملت من وجد الأحبة مفردا ما ليس يحمله الاحبة أجمع
لا يستقر بي الهوى في موضع الا تقاضاني الا الترحل موضع
وإلى صلاح الدين أشكو أنني من بعده مضي الجوانح موجع
جزعا لبعد الدار عنه ولم أكن لولا هواه لبعد دار أجزع
فلأركبن اليه متن عزائمي ويجد بي ركب الغرام ويوضع
ولأقطعن من النهار هواجرا مكب النهار بحرها يتقطع
ولأسرين الليل لا يسري به طيف الحيال ولا البروق اللمع
واقدمن اليه قلبي مخبرا أني بجسمي من قريب أتبع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة من أفقها صبح السعادة يطلع[٤٣].

وقد أرسل الناصر صلاح الدين الأيوبي جوابا وهو أبيات شعر بقلم كاتبه العماد الأصفهاني إلى تورانشاه يرغبه في الاقامة باليمن ويشرح له الفائدة السياسية والحربية من وراء بقائه في بلاد اليمن الواسعة الأرجاء الغنية بخيراتها وأموالها :

مولاي شمس الدولة الملك الذي شمس السعادة من سناه تطلع
مالي سواك من الحوادث ملجأ مالي سواك من النوائب مفزع
ولأنت شمس الدين فخري في العلا وملاذ آمالي وركني الأمنع
وبغير قربك كلما أرجوه من درك المنى متعذر متمنع
النصر إذا أقبلت نحو مقبل واليمن ان أسرعت نحوي مسرع[٤٤].

كما بعث الناصر صلاح الدين الأيوبي رسالة أخرى إلى أخيه تضمنت أبياتا شعرية عبرت عن إشتياقه وحنينه إلى اللقاء وهي من انشاء القاضي الفاضل[٤٥] :

لا تضجرن مما أتيت فإنه صدر لأسرار الصبابة ينفث
أما فراقك واللقاء فإن ذا أمــوت وذاك منه أبعث
حلف الزمان على تفرق شملنا فمتى يرق لنا الزمان ويحنث
كم يلبث الجسم الذي ما نفسه فيه ولا أنفاسه كم يلبث
حول المضاجع كتبتم فكأنني ملسوعكم وهي الرقاة النفث (٤٦) .

وعلى الرغم من ذلك الا ان تورانشاه لم يأخذ برأي أخيه وعاوده بالمكاتبة بعد وصوله تيماء وقربه من الشام وأرسل له كتاباًيعلمه برجوعه إلى بلاده وتضمن آخره بيتا شعريا :

وإذا أراد الله أن يشقى امرءا وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال عن مصر بلا سبب وسكنه بأرض زبيد

فعلم الناصر صلاح الدين الأيوبي أنه قد ضاق ذرعاً من سكنى اليمن التي أقام فيها ثلاث سنوات تم له الاستيلاء على أغلب بلاد اليمن في السهل والجبل وتمهدت له في اثنائها الأمور واستقرت الأحوال ، فأذن له بالعودة واستخلف أخاه أيوب لينوب عنه في حكم اليمن(٤٧) بعد أن كتب اليه الناصر صلاح الدين الأيوبي قصيدة طويلة مرتجلة من نظم العماد الأصفهاني منها الأبيات الآتية :

تألق برق من تهامة لامع يبشر أن الله للشمل جامع
يحاكي خفوق القلب منى خفوقه فهل راعه مثلى من البين رايع
لقد طال ليلى لانتظار صباحكم فهل لتباشير الصباح طلائع
صفت وضفت في الجود منك وفي العلى مشارع بالحسنى لنا وبدايع
كأنك شمس الدولة البدر بيننا ونحن حواليك النجوم الطوالع

وقد عاد تورانشاه إلى بلاد الشام محملا بالغنائم ولماسمع الناصر صلاح الدين الأيوبي خبر وصول أخيه أرسل اليه كتابا يقول فيه "أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ... ولقد أحسن عدنان المبشر إذ طلع علينا طلوع الفجر قبل شمسه ، وغرس في القلوب ما يسرنا ويسره جني غرسه "(٤٨).

وكان قد عاد منها في الوقت الذي كان الناصر صلاح الدين الأيوبي يحاصر حلب ، فوصل إلى دمشق في أواخر ذي الحجة سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، فاستخلفه الناصر صلاح الدين الأيوبي فيها لإدارة شؤونها وأقام بها مدة ثم انتقل بعدها إلى مصر في السنة ذاتها وأصبح حاكما على الاسكندرية وبقي في منصبه حتى توفي فيها يوم الخميس مستهل شهر صفر سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، ثم نقلت أخته ست الشام بنت أيوب(٤٩) جثمانه إلى دمشق ودفنته

في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق[٥٠] وأدت وفاته إلى حدوث اضطراب في أحوال اليمن بسبب الخلافات بين ولاته عليها فضلاًعن أن الناصر صلاح الدين الأيوبي كان مشغولا بحرب الصليبيين في بلاد الشام ، ولم يستطع أن يرسل أحدا ليتفقد أحوالها ، مما أدى إلى خروج النواب عن طاعته.

ثالثاً: عهد الملك العزيز سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب(٥٧٩-٥٩٣هـ/١١٨٣-١١٩٦م).

شهدت اليمن بعد وفاة تورانشاه تدهورا في أوضاعها السياسية وتنازع القادة أمر الزعامة واختلفت وجهات النظر وتعمق الخلافات بين ولاتها. فروى بعض المؤرخين ما جرى من احداث في تلك الحقبة " وكانت عماله على اليمن يدفعون خراجها اليه ، فلما مات (تورانشاه) أظهروا الخلاف ومنعوا الخراج (السنوي عن مصر)، وضرب كل منهم سكة باسمه ، ومنع أهل ولايته عن التعامل بغيرها الإ مظفر الدين قايماز فإنه ضعف عن ضبط مخلاف ذي جبلة[٥١] ، فنهض اليه عثمان الزنجبيلي من عدن طامعا في بلاده ، فتسلمها وتوجه إلى حضرموت فنهبها ، وقتل كثيرا من أهلها ، واستفحل أمره وقويت شوكته ، ثم رجع إلى عدن فلبث فيها حتى قدم سيف الإسلام طغتكين بن أيوب " [٥٢] ويؤيد ابن واصل الفوضى السياسية التي ضربت اليمن أثر وفاة تورانشاه وفي ذلك يقول في أحداث سنة٥٧٧هـ/١١٨١م " ثم وقع باليمن خلف بين حطان بن منقذ ـــ والي زبيد ـــ وعثمان الزنجبيلي ـــ والي عدن ، ولما بلغهم وفاة الملك المعظم (تورانشاه) ورام كل واحد منهما أن يغلب على ما بيده ، وجرت بينهما فتن ، واشتد الأمر، وبلغ ذلك السلطان (صلاح الدين) فخاف ان يطمع أهل اليمن فيها بسبب الاختلاف بين أصحابه ، فارسل إلى اليمن عسكرا وقدم عليهم قتلغ أبه ـــ والي مصر ـــ ومعه عدة من الأمراء ، فاستولى قتلغ أبه على زبيد ، وأزال حطان عنها، ثم توفي قتلغ أبه ،فعاد حطان إلى إمارته بزبيد واقطاعه ، وأطاعه الناس لجودته وشجاعته " [٥٣] .

وقرر الناصر صلاح الدين الأيوبي على أثر الاضطراب والفوضى التي سادت اليمن بعد وفاة قتلغ أبه تسيير أخيه سيف الإسلام طغتكين على رأس حملة عسكرية إلى اليمن لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه ويقطع دابر الفتن ويعيد الأمن والنظام والاستقرار إلى ربوع اليمن[٥٤] وذكر أبو شامة نقلاعن ابن ابي طيء أسباب خروج طغتكين إلى اليمن بقوله " كانت نفس سيف الإسلام تشرئب إلى اليمن حيث مات أخوه شمس الدولة ، ويشتهي أن يصير اليها ، فأمر ابن سعدان الحلبي أن يعمل قصيدة يعرض فيها بإنفاذ سيف الإسلام إلى اليمن فعمل القصيدة التي يقول فيها (وروى أبياتا منها) قال : فلما سمع السلطان (صلاح الدين) هذه القصيدة أذن لسيف الإسلام في المسير إلى اليمن"[٥٥] هذا فضلا عن الطموح الشخصي لطغتكين ورغبته في المضي إلى اليمن وتولي أمرها واخضاعها للحكم الأيوبي[٥٦] .

وبناءً على ذلك خرج طغتكين إلى اليمن في سنة٥٧٨هـ/١١٨٢م،على رأس قوة عسكرية قدر عددها الف فارس وخمسمائة جندي فسار بهم حتى وصل مكة [٥٧] وتجدر الإشارة هنا إلى أن

الرحالة الأندلسي ابن جبير كان موجودا في مكة عند مرور طغتكين بها في طريقه إلى اليمن ، وقد وصف الأيام التي قضاها طغتكين مع جيشه في مكة وصفا دقيقا شيقا [٥٨] ثم غادرها متجها إلى زبيد التي وصلها وأقام بها أياما والقى القبض على حطان بن منقذ وقتله واسترجع جميع ما أخذه من أموال زبيد ، وقدم اليه ياقوت التعزي وسلم اليه مفاتيح الحصن فاعجبه وأعاده إلى عمله واليا لزبيد، أما بالنسبة لحاكم عدن عثمان الزنجبيلي فما أن سمع بخبر ما جرى على حطان خاف على نفسه وحمل أمواله في مركب وسير معظمها عن طريق البحر إلى بلاد الشام ، ولكنها وقعت في أيدي رجال طغتكين فاستولوا عليها ، ولم يبق لعز الدين الزنجبيلي إلا ما صحبه في طريقه البري إلى بلاد الشام وبقي هناك حتى وافته المنية ، وبذلك صفت زبيد وعدن وما يتبعهما من مناطق لطغتكين[٥٩] ثم توجه طغتكين إلى ذمار فاستولى عليها وأسند أمرها وادارة شؤونها إلى مملوكه مظفر الدين قايماز[٦٠] كما استولى على صنعاء في سنة٥٧٩هـ/١١٨٣، فضلا عن استيلائه على مناطق أخرى في اليمن لم تخضع لأسلافه ، كان أهمها حصن حب [٦١] سنة٥٨٢هـ/١١٨٦م وبذلك دانت أغلب بلاد اليمن سهلا وجبلا لطغتكين [٦٢].

وأبرز الأعمال العمرانية والإدارية التي شهدها عهد طغتكين : ـــــــ

١-شرع في صيانة الحصون والمعاقل المهمة ومنها : تجديده بناء حصون التعكر وحب وجدد وتعز.

٢-قام بتحصين المدن اليمنية أهمها بناء سور جديد حول زبيد وجدد سور صنعاء الذي تهدم من جراء رمي النفط أثناء مهاجمته المدينة وأستقر بصنعاء أول الأمر ثم أنتقل بعدها إلى تعز وجعلها عاصمة للبلاد .

٣-بنى مدينة أسماها المنصورة في سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م على بعد حوالي (١٢كم) شمالي حصن الجند ، وبنى بها قصرا جميلا .

٤-جدد بناء جامع مدينة زبيد لاسيما بناء المؤخرة والجناحين الشرقي والغربي والمنارة .

٥-أعاد بناء جامع الجند ورفع سقوفه وزوقها بالذهب .

٦-بنى الدار السلطانية في صنعاء .

٧-قرر الضرائب السلطانية ووضع الأنظمة لجبايتها .

٨-جعل عشر زكاة النخل نقدا بعد أن كانت تؤخذ من الثمار[٦٣].

وأشارت المصادر التاريخية أن طغتكين كان عالما يحب العلماء ويحترمهم ويبالغ في إكرامهم فضلا عن أنه " كان رجلا شجاعا مشكور السيرة ، حسن السياسة مقصودا من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره " وقد توفي في مدينة المنصورة في١٩ شوال سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م ، ثم نقل جثمانه ابنه المسعود إلى مدينة تعز حيث دفنه فيها ، وذلك بعد حكم دام١٤سنة [٦٤] .

رابعاً: عهد الملك المعز فتح الدين إسماعيل بن طغتكين (٥٩٤-٥٩٨هـ/١١٩٧-١٢٠١م).

كان طغتكين يعد ابنه المعز إسماعيل لتولي حكم اليمن من بعده ، لذلك كان يعتمد عليه كثيرا في إدارة شؤون الدولة[٦٥] غير أنه أظهر التشيع فغضب اباه منه سنة٥٨٩هـ/١١٩٣م، فطرده من اليمن واتجه إلى بغداد ،فاكرمه الخليفة العباسي الناصر لدين الله(٥٧٦-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)وأرسله بكتاب منه إلى ابيه يطلب فيه أن يصفح له[٦٦]ويبدو أن المعز تظاهر بالصلاح أمام الخليفة العباسي الناصر فعاد بعدها إلى اليمن عن طريق دمشق ، غيرانه لم يتراجع عن أفكارالتشيع مما أدى إلى قيام أبيه بطرده مرة أخرى في سنة٥٩٣هـ/١١٩٧م،فخرج من زبيد متجها إلى بغداد في الوقت الذي أشتد فيه مرض طغتكين ، وما كاد يغادر حتى أسرع الأمير جمال الدين كافور الذي كان الذراع الأيمن لطغتكين بإرسال مجموعة من الجند أخبروه بوفاة أبيه، فعاد على أثرها إلى اليمن وسلمه الأمير جمال الدين مقاليد السلطة وادارة شؤون البلاد[٦٧]وكان المعز قد دخل مدينة زبيد فمكث فيها يوما ثم غادرها متجها إلى مدينة تعز التي ما أن وصلها حتى أظهر مذهبه فيها فالتفت حوله الإسماعيلية[٦٨] معلنة تأييدها ودعمها له [٦٩].

وقد اتفق المؤرخون المسلمون على أن الملك المعز الأيوبي كان منهمكا في حياة اللهو واللعب ، قليل الخير، وكان فيه هوج ، فادعى أنه قرشي ، وأنه من بني أمية ولبس الخضرة وجعلها شعاره وارتدى ثياب الخلافة وقطع الخطبة للعباسيين ودعا بالخلافة إلى نفسه وتلقب بالهادي وخوطب بأمير المؤمنين ثم ادعى النبوة ، وبلغ ذلك عمه الملك العادل في مصر(٥٨٩-٦١٥هـ/١١٩٣- ١٢١٨م) فكتب اليه يلومه ويوبخه وينكر عليه فعله ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح ،غير أنه لم يلتفت له فضلا عن ذلك فقد أساء السيرة مع أمرائه وجنده فخشي معظم رجاله الأتراك عاقبة الأمور فتخلوا عنه وهربوا وكان على رأسهم الأتابك سنقر، ففقد المعز ثقة الناس وخرج عليه بعض مماليكه واغتالوه أمام باب مدينة زبيد في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م ، بعد حكم دام ست سنوات [٧٠].

وكان الملك المعز الأيوبي متضلعا في فنون الأدب شاعرا له ديوان شعر صنفه له الشاعر مسلم بن محمود الشيرزي وسماه (عجائب الأسفار وغرائب الأخبار) وأهم الآثار والمعالم العمرانية التي خلدها التاريخ في عهده هي : ـــــ

١-بناء المساجد وأشهرها مسجد المعزية في مدينة تعز .

٢-يعد المعز أول من بنى المدارس في اليمن فقد أنشأ المدرسة السيفية بتعز نسبة إلى أبيه سيف الدولة طغتكين ، وتعد أول مدرسة بناها الأيوبيين في اليمن .

٣-أنشأ مدرسة الميلين الواقعة شرق زبيد[٧١]ويقال أن الملك المعز مات بتعز ودفن في المدرسة السيفية التي أسسها فيها الأتابك سيف الدين سنقر[٧٢].

وكان من أبرز الآثار والمعالم العمرانية في نيابة الأتابك سنقر على اليمن : ـــــ

١- إنشاء جامع المعز وصناعة منبر يعد من عجائب البناء في عصره .
٢- بناء مدرسة للشافعية في مدينة زبيد تدرس فيها العلوم الدينية على مذهب الإمام الشافعي عرفت باسم المدرسة العاصمية نسبة إلى مدرسها الفقيه عمر بن عاصم .
٣- بناء مدرسة في مدينة زبيد عرفت باسم مدرسة ابن حماد نسبة إلى مدرسها الفقيه محمد بن حماد(٧٣).

خامساً : عهد الملك الناصر محمد بن طغتكين (٥٩٨- ٦١١هـ/١٢٠١-١٢١٤م).

تولى الملك الناصر السلطة بعد اضطراب الأوضاع في اليمن على أثر مقتل أخيه الملك المعز اليمن ، وقد تمكن القتلة من الاستيلاء على خزينة الدولة وتحصنوا في إحدى القلاع الحصينة بالقرب من مدينة زبيد واشترطوا عدم تسليم القلعة والأموال إلا لرجل أيوبي وتولى دفة حكم اليمن أخوه الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، وكان آنذاك صغير السن يقيم في مدينة تعز فتولى الوصاية عليه أتابك والده الأمير سيف الدين سنقر الذي تمكن بفضل شجاعته وحسن تدبيره من إدارة شؤون البلاد واعادة الخطبة للخلافة العباسية(٧٤).

وحاولت بعض الشخصيات الدينية والسياسية المحلية في اليمن الإفادة من ذلك الوضع لصالحها، وتمثل ذلك بقيام الإمام عبدالله بن حمزة بالاستيلاء على صنعاء في الوقت الذي كان الأمير سيف الدين سنقر قد تولى الاتابكية للملك الناصر وتزوج أم الناصر وأخذ على عاتقه إعادة الأمور الى نصابها، فقام بعزل بعض الولاة الذين لا يثق فيهم وعين آخرين بدلا عنهم موالين له غير أن هذا الإجراء لم يجد نفعا إذ خرج عليه بعض جنده مما أدى الى دخوله في معركة ضدهم كانت نتيجتها انتصاره عليهم وقتل معظمهم ومن بقى على قيد الحياة أودع في السجن ، وبذلك استطاع أعادة سلطة الأيوبيين على اليمن إلى ما كانت عليه(٧٥).

وقد أخذت الأمور تسير في صالح الأتابك سنقر عندما ندم قائده ورد سار على انضمامه لصفوف الإمام عبدالله وأعلن طاعته للأيوبيين فعينه سنقر حاكما على صنعاء وانقلب على الإمام وبادر بمحاربته ومهاجمة القرى والقلاع والحصون التابعة له كما تمكن من قتل إبراهيم أخو الإمام عبدالله في احدى المعارك ، فاضطربت أحوال الإمام عبدالله ولا سيما بعد أن قدم عليه زعماء القبائل على ورد سار معلنة الولاء والطاعة فضلا عن استيلاءه على مدينة صعدة عاصمة الإمام عبدالله وخطب فيها للخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وعلى الرغم من ذلك الا ان الاحداث لم تلبث ان هدأت بين الأيوبيين والإمام سنة٦٠٢هـ/١٢٠٥م ، بعد الهدنة التي عقدت بينهما لمدة عشر سنين وعشرة أيام وعشر ساعات ، وقد استغل الإمام عبدالله تلك الهدنة فأخذ يوسع نفوذه في شمال اليمن، وعد الأتابك سنقر ذلك العمل نقضا للهدنة وجهز حملة قادها بنفسه لحرب الإمام عبدالله والقضاء عليه ، فدارت بينها معركة عند وصاب سنة٦٠٤هـ/١٢٠٧م ، هزم فيها الأتابك سنقر

واتباعه وعاد الى مدينة زبيد،على إن تلك الهزيمة تركت أثرا سيئا في نفوس الأيوبيين فقد عمت الفوضى مناطق اليمن الشمالي ، واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين اضطرتهما في النهاية إلى تجديد مدة الهدنة(٧٦).

على ان الإمام عبدالله حاول استغلال تلك الهدنة لصالحه وتوسيع نفوذه وزيادة ممتلكاته فقام سنة٦٠٨هـ/١٢١١م ، بمهاجمة منطقة تهامة في بلاد الحجاز الأمر الذي دفع الأتابك سنقر إلى شن هجمات عدة على المناطق التابعة للإمام عبدالله وتمكن خلالها من تخريب العديد من القرى والقلاع والحصون الخاضعة لسيطرته مما اضطره إلى طلب الصلح ، وتم على أثرها عقد صلح بين الجانبين سنة لمدة سنتين ، وعلى الرغم من الإنجاز الذي حققه سنقر إلا أنه لم يعمر بعده طويلا إذ توفي في السنة ذاتها(٧٧).

وبعد وفاة الأتابك سنقر تولى الأتابكية الأمير غازي بن جبريل الذي كان ينوب عن الملك الناصر في الحج سنويا إلى مكة المكرمة ، على أن الأمير غازي كان سيء السيرة يستخدم السموم من أجل التخلص من منافسيه ومعارضيه ، فقد أستغل ضعف الملك الناصر وسوء تدبيره الأمور، فقام يدس السم له وتخلص منه في المحرم سنة٦١١هـ/١٢١٥م ،مما أدى ذلك إلى ضعف سيطرة الأيوبيين على اليمن مقابل قوة مركز الإمام عبدالله(٧٨) .

ولم يكتف الأمير غازي بذلك بل حاول الاستقلال بحكم اليمن بعد وفاة الملك الناصر فنصب نفسه ملكا على اليمن وتلقب بالملك الظافر وسك عملة جديدة باسمه وخطب له على منابر صنعاء وعزم على التوجه إلى تعز وفي طريقه اليها هاجمته قبائلها ونهبت أثقاله وأمواله وتمكن هومن النجاة والهرب إلى مدينة إب وعند وصوله اليها ثار عليه بعض جنوده وقتلوه في بيته واحتزوا رأسه وحملوه إلى أم الملك الناصر سنة٦١١هـ/١٢١٤م ، بعد مدة وصاية دامت ستة أشهر(٧٩) .

وبذلك خلت اليمن من حاكم أيوبي قوي يدير شؤونها في تلك المرحلة العصيبة ، وتولت أم الملك الناصر السلطة ، وكانت تنتظر آنذاك وصول أحد من بني أيوب فتتزوج به وتملكه البلاد ، وعينت الأمير المجاهد أتابكاً لها(٨٠) وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمراء المحليينفي اليمن انتهزوا تلك الفرصة وحاولوا توسيع مناطق نفوذهم حتى ان بني حاتم الذين كانوا قد أسسوا دولة في صنعاء قبل مجيء الأيوبيين استولوا على حصون عدة فضلا عن استيلاء الإمام عبدالله بن حمزة على صنعاء وذمار وغيرهما(٨١).

والحقيقة أن اليمن كانت خلال تلك الحقبة بحاجة إلى رجل قوي يعيد اليها وحدتها واستقرارها في الوقت الذي لم يكن باستطاعة الأيوبيين أرسال أحد من رجالها في تلك الأوضاع لانشغالهم بحرب الصليبيين ، لذلك بحثت أم الملك الناصر محمد بن طغتكين عن رجل أيوبي تتزوجه وتمنحه حكم اليمن ، ومن أجل تحقيق هدفها أرسلت غلمانها في موسم الحج إلى مكة المكرمة ليأتوها بأخبار مصر والشام(٨٢).

سادساً: عهدالملك المظفر سليمان بن سعد الدين شاهنشاه الثاني(٦١١- ٦٤٧هـ/١٢١٤-١٢٤٩م) .

وقد عثر غلمان أم الناصر في مكة على سليمان الذيكان قد خرج في زي الصوفية ، فوصل إلى اليمن في سنة ٦١١هـ/١٢١٤م ، لإداء مناسك الحج فاحضره غلمان أم الناصر اليها وقالت له " إنا نخشى أن يطمع فينا العرب ونحن نساء لا حيلة لنا ، وقد ساقك الله إلينا ، فقم بملك ابن عمك، فأجاب إلى ذلك ، فاطلعوه الحصن (تعز) وأجلسوه على سرير الملك وحلف الجند" وبعدما أحضروه إلى اليمن استقبلته أم الناصر بترحاب وخلعت عليه وتزوجته ، فأصبح حاكما على اليمن، لكنه ملأها بالجور والظلم ولا سيما في مدن زبيد وصنعاء ، كما كثرت الفتن والاضطرابات في عموم البلاد فضلا عن تقسيم اليمن إلى اقطاعات وتصفية الأمراء المنافسين له على السلطة[٨٣].

على ان تلك الأوضاع السيئة تفاقمت في البلاد بعد أن رفض الأمير مجاهد الاعتراف بحكم سليمان وحاول التخلص منه بسجنه إلا أن سليمان تمكن من الهرب من السجن بمساعدة نساء القصر وقبض على الأمير مجاهد وأتباعه وقتلهم ، ومن جانب أخر لم تكن اليمن آنذاك في حاجة إلى رجل مثل سليمان الذي كان حسب ما ترويه المصادر ضعيف الشخصية قليل الخبرة في أمور السياسة والحكم محبا لحياة اللهو واللعب والملذات ، وأساء معاملة زوجته التي ملكته البلاد وهجرها[٨٤] كما أساء إلى أتباعه وعاملهم بعنف وقسوة مما أدى إلى تفرقهم عنه وخروج كبار قادته عليه وخاصة المؤيد بن القاسم وبدر الدين حسن بن علي بن رسول فضلا عن انضمام مجموعة من أتباعه إلى خصمه الإمام عبدالله بن حمزة[٨٥]وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى ضعف الأيوبيين في اليمن، وزاد من طموح الإمام عبدالله الذي بدأ يسعى لتحقيق أحلامه في السيطرة على بلاد اليمن كلها وتقويض دعائم الحكم الأيوبي فيها .

سابعاً: عهد الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل (٦١٢-٦٢٥هـ/١٢١٥-١٢٢٧م) .

خشي الأيوبيون أن يفقدوا سيطرتهم على اليمن أثر اضطراب الاوضاع التي عمت أرجائها وأن يستحوذ عليها الإمام عبدالله بن حمزة ، لذلك قرر الملك الكامل الأيوبي (٦١٤-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م) أرسال حملة عسكرية إلى اليمن لإعادة اخضاعها للسيطرة الأيوبية ، وأسند قيادتها إلى ابنه الملك المسعود الملقب بالأقسيس[٨٦]وكتب إلى الأمير شمس الدين حسن بن علي بن رسول وإلى جميع الأمراء المصريين في البلاد يأمرهم بحسن صحبة الملك المسعود والقيام بخدمته وتقديم الدعم والمساعدة له[٨٧] .

وكانت هنالك أسباب عدة وراء إرسال تلك الحملة :

١-حالة الضعف والتفكك في صفوف الأيوبيين في اليمن مما ادى إلى فقدان عدة أجزاء من ممتلكاتها واستيلاء أعدائهم عليها ، فأسهم ذلك في دخول البلاد في الفوضى وعدم الاستقـــرار.

٢-السياسة السلبية التي اعتمدها الحكام الأيوبيين بعد طغتكين ، واضطراب الأوضاع في تلك الفترة وخاصة في عهد الملك سليمان الذي لم يهتم إلا بملذاته وأساء معاملة أتباعه الأمر الذي أدى إلى ابتعادهم عنه وتخليهم عن تأييده وانضمام معظمهم إلى الإمام عبدالله بن حمزة [٨٨].

٣-إدعاء الإمام عبدالله بن حمزة أحقيته بالخلافة ، واعتباره الخليفة العباسي الناصر لدين الله غاصبا للخلافة ، فدعا لنفسه بها وهدد بالاستيلاء على بغداد حاضرة العباسيين[٨٩] وعلى الرغم من أن الإمام عبدالله لم يتمكن من السيطرة على اليمن الا ان تهديده بالهجوم على بغداد كان محاولة منه اراد بها تحدي الدولة العباسية وحكامها الأيوبيين في اليمن .

٤-إستنجاد ابن النساخ زعيم إحدى الفرق الدينية اليمنية التي تدعى المطرفية بالخليفة الناصر لـــدين الله العباسي ضد الظلم الذي لحـــق بطائفتـــه وبسكان اليمن من الإمام عبدالله بـــن حمزة [٩٠].

٥-سوء معاملة الملك سليمان لزوجته التي ملكته بلاد اليمن وهجرها فأرسلت إلى الملك العادل تشكو اليه حالها وتطلب منه أن يرسل أحد الأيوبيين الأكفاء للحفاظ على اليمن وإلا ضاعت منهم[٩١].

وبناءً على ذلك جهز الملك العادل الأيوبي هذه الحملة التي قادها الملك المسعود الأيوبي التي قدر عددها ألف وخمسمائة مقاتل ، وانطلقت من القاهرة في يوم الاثنين ١٧رمضان سنة٦١١هـــ/١٢١٤م ، فوصل الملك المسعود مكة في ٣ ذي القعدة من السنة ذاتها وحج فيها ثم اتجه إلى زبيد باليمن وعندما اقترب منها خرج الأهالي لاستقباله وكان على رأسهم الأمير نور الدين عمر وإخوته فسر الملك المسعود ذلك وأكرمهم وخلع عليهم وتسلم زبيد دون قتال ودخلها في مستهل محرم سنة٦١٢هـــ/١٢١٥م ونزل بالدار السلطانية[٩٢].

أما الملك سليمان شاه فعندما سمع بقدوم الجيش الأيوبي لجأ إلى الاحتماء بحصن تعز، فارسل الملك المسعود رسولا لطلب الصلح وعرض عليه أن تكون مناطق التهائم والجبال لسليمان[٩٣] غير ان نور الدين أشار على الملك المسعود بتهديد أهل الحصن ويتوعدهم بتخريب حصنهم ان رفضوا التسليم له ، فاصروا على موقفهم مما اضطر الملك المسعود إلى مهاجمتهم وقبض على سليمان وارسله تحت الحراسة المشددة إلى مصر[٩٤] فعاش في القاهرة حتى استشهد أثناء جهاده الصليبيين في معركة المنصورة سنة٦٤٧هـــ/١٢٤٩م أثناء الحملة الصليبية السابعة[٩٥]وقد عين الملك المسعود بعد سيطرته على اليمن نوابا ليساعدوه في ادارة شؤون البلاد، فولى نورالدين عمر بن رسول على زبيد وأخاه بدرالدين بن رسول على صنعاء[٩٦].

ومن جانب آخر كانت العلاقات بين الملك المسعود وأبيه الملك الكامل الأيوبي علاقات حسنة ومما يؤكد ذلك تفكير الملك الكامل نفسه بالهرب إلى اليمن عندما حاول الأمير ابن المشطوب خلعه عن الحكم[٩٧] وكذلك الزيارات المستمرة التي كان يقوم بها الملك المسعود إلى مصر فضلا

عن كثرة الهدايا التي كان يحملها لأبيه وكانت الزيارة الأولى اليها سنة٦٢٠هـ/١٢٢٣م ، حمل معه الكثير من الهدايا والتحف الثمينة [٩٨] .

أما الزيارة الثانية فكانت سنة٦٢٦هـ/١٢٢٨م ، عندما استدعى الملك الكامل أبنه الملك المسعود ليوليه دمشق أثر وفاة حاكمها المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي(٦١٥-٦٢٥هـ/١٢١٨-١٢٢٧م) وبعد سير الملك المسعود من اليمن إلى مصر بما جمعه من أموال اليمن من الذهب والفضة والجواهر النفيسة ، وعند وصوله منطقة المعلى قرب مكة المكرمة تمرض مرضا شديدا توفي على أثرها ودفن فيها في١٣جمادى الأولى من السنة ذاتها [٩٩]وقد قال عنه الذهبي أنه " كان شهما شجاعا زعرا ظلوما ،وقمع الزيدية والخوارج" [١٠٠] كما ذكر النويري ومن نقل عنه أنه " نادى مرة في التجار ببلاد اليمن : من أراد السفر من التجار إلى الديار المصرية والشام صحبة السلطان فليتجهز ، فتجهز معه سائر الذين وصلوا من الهند بالأموال والأقمشة والجواهر، فلما تكاملت المراكب بزبيد ، قال : اكتبوا لي ما معكم من البضائع لأحميها من الزكاة، فكتبوها له ، فصار يكتب لكل تاجر برأس ماله على بعض بلاد اليمن ، واستولى على البضائع واستغاثوا فاجتمعوا فلم يسمع شكواهم ، فقالوا : خذ مالنا وأطلقنا ، فلم يلتفت إليهم أيضا ، فعبأ ثقله في خمسمائة مركب ومعه ألف خادم ومائة قنطار من العنبر والعود والمسك ، ومائة ألف ثوب، ومائة صندوق فيها الأموال والجواهر، وركب إلى مكة ، فمرض في طريقه ، فما دخل مكة الا وقد أفلج ويبست يداه ورجلاه ، ورأى في نفسه العبر" [١٠١] وقال ابن خلكان " فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى أنه إذا مات لا يجهز بشيء من ماله ، وكان أوصى أنه لا يبنى على قبره شيء ، ويكتب على قبره هذا قبر الفقير إلى وجه الله تعالى يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب"[١٠٢] .

وكان خبر وفاة الملك المسعود قد وصل إلى أبيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق لانتزاعها من أخيه الناصر داود ، وكان الملك المسعود قد خلف ابنا صغيرا اسمه يوسف ولقب بالملك المسعود كلقب أبيه ، وبقي على قيد الحياة حتى وافاه الأجل في سنة٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، أثناء سلطنة عمه الملك الصالح أيوب حاكم مصر ، وكان قد بلغ السادسة والعشرون من العمر وحكم دام أربع عشرة سنة ، ويعد آخر الملوك الأيوبيين الذين حكموا في بلاد اليمن [١٠٣] أما عن الأعمال العمرانية في عهده فلم يكن للملك المسعود من المآثر في اليمن سوى تجديد بناء مدرسة الميلين في مدينة زبيد ، كما أنه جدد بناء مسجد الجند[١٠٤].

ثامناً : خروج اليمن من سيطرة الأيوبيين .

تولى حكم اليمن بعد وفاة الملك المسعود الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي اتبع سياسة تتجه نحو دعم سلطته فقام بعزل الولاة الذين لا يثق بهم ، وولى آخرين مكانهم ، وكان

نور الدين رجلا ذكيا ذا عقل وحكمة ورأي صائب فلم يعلن استقلاله باليمن بعد وفاة الملك المسعود مباشرة بل تريث كي لا يستثير حفيظة الملك الكامل ويدفعه إلى ارسال حملة للقضاء عليه بل أعلن أول الأمر ولاءه للأيوبيين وطاعته لهم وإنه نائب عنهم بها[١٠٥]ولإثبات اخلاصه وولائه وتبعيته أبقى الخطبة والسكة للملك الكامل وارسل له الأموال والهدايا القيمة والتحف الثمينة غير أنه في الحقيقة أخذ يعمل على الاستقلال ، كما ولى اتباعه على القلاع والحصون وعزل من خشي معارضته أو عصيانه ثم أفصح عن نواياه وأعلن استقلاله عن الأيوبيين سنة٦٢٨هـ/١٢٣٠م ، واتخذ مدينة زبيد عاصمة لدولته الجديدة[١٠٦]. أما عن موقف الأيوبيين فلم يستطيعوا إرسال حملات جديدة إلى اليمن وإعادتها للحكم الأيوبيوذلك لأسباب عدة اولها:ضعف الدولة الأيوبية وانحلالها الداخلي ، وثانيها : والأخطار الخارجية المتمثلة في الصليبيين والخوارزمية [١٠٧]الذين كانوا يذكون نار الفتنة بين الأيوبيين لكي تتاح لهم الفرصة للانقضاض على دولتهم وإسقاطها[١٠٨]. وعلى الرغم من ذلك إلا أن الخطبة والسكة بقيت باسم الأيوبيين حتى قطعها سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، فتلقب بالملك المنصور وخطب لنفسه باليمن وضربت السكة باسمه ولأجل اضفاء الشرعية على حكمه أرسل إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله(٦٢٤-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م) ببغداد في ١٧صفر سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م ، يخبره باستقلال اليمن وطاعته له ويطلب منه تقليده السلطنة[١٠٩]فوافق الخليفة العباسي على طلبه وأرسل اليه التشريف والخلعة مع أحد مماليكه بحرا عن طريق البصرة بعد أيام من السنة ذاتها ، وبذلك تمكن من إحكام قبضته على اليمن وأستمر في حكمها وأصبح الحكم من بعده وراثيا في أولاده[١١٠]. وبذلك انفصلت اليمن عن تبعيتها لمصر الأيوبية وانتهى حكم الأيوبيين فيها وأسدل الستار عن دولتهم بعد أن تعاقب على حكمها ملوك وأمراء الدولة الأيوبية مدة دامت ستة وخمسين سنة وقامت على أنقاضها الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م). وعليه يمكن القول أن سياسة الأيوبيين تجاه اليمن اتسمت ببعد النظر واستهدفت التفكير بضمها للخارطة السياسية للدولة الأيوبية منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لغرض تحقيق الوحدة الإسلامية تحت راية الخلافة العباسية من خلال القضاء على الفوضى السياسية التي أحدثتها الدويلات المتنازعة على السلطة والتي سببت تفكك وحدة البلاد سياسياً وانتشار المذاهب المناهضة للعباسيين دينياً فضلاً عن دعم مركزهم السياسي والعسكري وتأمين حدود مصر الجنوبية وتفويت الفرصة على أعداءهم الصليبيين الذين كانوا يتطلعون للسيطرة على البحر الأحمر لأجل التحالف مع الحبشة ضد الأيوبيينلأنهاء نفوذهم في مصر وبلاد الشام .

هوامش البحث :

[1] عدن:أشهر المدن اليمنية وتعد الميناء الرئيس لها ، وتقع على ساحل البحر الهندي، تمتعت بأهمية استراتيجية واقتصادية كونها محط تجمع التجار لا سيما القادمين من الهند . ينظر: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ط٢(بيروت:١٩٩٥م)،ج٤،ص٨٩.

[2] زبيد : مدينة مشهورة في اليمن استحدثت في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٢م). ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٣،ص١٣١.

[3] صنعاء : مدينة في اليمن تبعد حوالي (١٣٦كم) عن عدن ، وتعد قصبة اليمن وأحسن بلادها . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٣،ص٤٢٦ .

[4] حسن ابراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ط١٥(بيروت ٢٠٠١:م)،ج٤،ص١٩٩-٢٠٠ ؛ عبدالله الثور ، مختصر من تأريخ اليمن (القاهرة :١٩٧٩م)،ص٧١-٧٤؛ جميل حرب حسين ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : ١٩٨٥م)،ص٨٣-٨٨ .

[5] محمد سهيل طقوش ، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة ،ط٢(بيروت:٢٠٠٨م)، ص٤٧-٤٨؛ علي محمد الصلابي ،الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي (بيروت :٢٠٠٧م)،ص٦٠٢-٦٠٣

[6] جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة:١٩٥٣م)،ج٢،ص٢٧٠٢٨.

[7] شمس الدين يوسف بن قزاوغلي ، مرآة الزمان في تأريخ الأعيان (الهند : ١٩٥٢م)،ج٨،ص٣٠٠.

[8] عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد أبو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن (ليدن :١٩٢٦م)،ج٢،ص٢٧ ؛ عبد الرحمن بن علي بن الديبع ، كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق وتعليق : محمد بن علي الأكوع (القاهرة:١٩٥٠م)،ص٣٧٤.

[9] يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ،غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ،تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة :١٩٦٨م)،ص٣٢٢ .

[10] بهاء الدين يوسف بن رافع ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق: جمال الدين الشيال (بيروت :١٩٦٤م)،ص٤٦.

[11] تورانشاه : لفظ فارسي معناه بالعربية ملك المشرق . ينظر : الحنبلي ، شفاء القلوب ،ص٥٠.

[12] النوبة : بلاد واسعة تقع في جنوب مصر . ينظر : عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي (بيروت :١٩٥٤م)،ج٣،ص١٣٩٤.

[13] شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت : د.ت)،ج١،ص٢٠٦-٢٠٧ ؛ شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس (بيروت : د.ت)،ج١،ص٢٩٤ ؛ عماد الدين اسماعيل بن علي

أبو الفداء ، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر ، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب (بيروت : ١٩٩٧م)،ج٢،ص١٣١؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ،ص٥٠.

(١٤)عزالدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق : خليل مأمون شيحا (بيروت :٢٠٠٢م)،ج٩،ص٢٥٨-٢٥٩.

(١٥) عمارة اليماني : هو ابو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي اليمني الملقب بنجم الدين، قدم إلى مصر في خلافة الفائز في سنة٥٥٠هـ/١١٥٥م ، ووزارة الصالح بن رزيك ، قتل مع ثمانية من أصحابه سنة٥٦٩هـ/١١٧٣م ، بسبب استهدافهم الناصر صلاح الدين ومحاولتهم اعادة الدولة الفاطمية. ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان ،ج٣،ص٣٧٨-٣٨١ .

(١٦) ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص٢٦٧ ؛ أبو شامة ، الروضتين ،ج١،ص٢١٦ .

(١٧) أبو شامة ، الروضتين ،ج١،ص٢١٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١،ص٢٣٨-٢٤٠ ؛ الحنبلي، شفاء القلوب ،ص٥٠-٥١ .

(١٨) أبو شامة ، الروضتين ،ج١،ص٢١٨.

(١٩) بنو رسول : ينتسب بني رسول إلى جدهم محمد بن هارون ، وقد أوفدته الخلافة العباسية في عدة مهام، ولذلك اطلق عليه لقب (رسول) واستمر هذا اللقب في أبنائه وأحفاده من بعده ، وقد جاؤوا إلى اليمن مع الأيوبيين وظل حكمهم سائدا أكثر من قرنين من الزمن وامتد نفوذهم من حضرموت إلى مكة، واستطاع زعيمهم نور الدين بن علي بن رسول اقامة الدولة الرسولية واعلان استقلال اليمن عن الدولة الأيوبية في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م. ينظر:علي بن الحسن الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عني بتصحيحه : محمد بسيوني (القاهرة :١٩١١م)،ج١،ص٣٣.

(٢٠)ابن علي ، غاية الأماني ،ص٣٢١.

(٢١) بنو مهدي: أسرة يمنية حكمت مدينة زبيد بين سنتي (٥٥٤-٥٦٩هـ/١١٥٩-١١٧٣م) وتعاقب على حكمها ثلاثة من رجالها هم علي بن مهدي وأبنيه مهدي بن علي وعبد النبي بن علي . ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج١،ص٢٣٨،هامش(١).

(٢٢) ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص٢٦٧؛ شهاب الدين أحمد النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : نجيب مصطفى فواز وأخر(بيروت :٢٠٠٤م)،ج٢٨،ص٢٤٨.

(٢٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج١،ص٢٤٣.

(٢٤) ابن علي ، غاية الأماني ،ص٣٢١.

(٢٥) أبو شامة ، الروضتين ،ج١،ص٢١٧ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد عبد القادر عطا(بيروت :١٩٧٠م)،ج١،ص١٦٢.

(٢٦) شيزر : قلعة في بلاد الشام قرب معرة النعمان تبعد حوالي (٣٥كم) عن حماة . ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٣،ص٣٨٣.

[٢٧]الكامل،ج٩،ص٢٦٧-٢٦٩؛ أبوشامة ، الروضتين ،ج١، ص٢١٧؛ النويري ، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص٢٤٩.

[٢٨] الجند : احد الحصون اليمنية يبعد حوالي (١٧٦كم) عن مدينة صنعاء . ينظر : ياقوت الحموي ،معجم البلدان، ج٢،ص١٦٩.

[٢٩] ابن الأثير ،الكامل ،ج٩،ص٢٦٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ج١،ص٢٤٢ ؛ قوام الدين ابو الفتح بن علي البنداري ،سنا البرق الشامي ،تحقيق : فتحية النبراوي (القاهرة : ١٩٧٩م)،ص٢٥.

[٣٠] ابن علي ، غاية الأماني ،ص٣٢٤.

[٣١] المصنعة : احدى المعاقل القريبة من ذمار . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٥،ص١٤٤.

[٣٢] ذمار : مدينة تبعد حوالي (٣٥كم) عن صنعاء . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٣،ص٧.

[٣٣] هران : أحد الحصون التابعة لمدينة ذمار . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٥،ص٣٩٦.

[٣٤] ابن علي ،غاية الأماني ،ص٣٢٣-٣٢٤.

[٣٥] تعز : قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢،ص٣٤ ؛ وتعد تعز " من أحصن القلاع ، وبها تكون خزائن صاحب اليمن". ينظر :النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٤٩.

[٣٦] ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص٢٦٨،٣٣٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج١،ص٢٤٣؛ البنداري، سنا البرق ،ص١٧٨.

[٣٧] ابن شداد ، النوادر ،ص٤٦ ؛ أبو شامة ، الروضتين ،ج١،ص٢١٨.

[٣٨] حسن ، تاريخ الإسلام ،ج٤،ص٢٠٣.

[٣٩]عثمان الزنجبيلي: هو أبو عمر عز الدين الزنجبيلي سمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية زنجبيلة التابعة لدمشق، وكان من كبار الأمراء في مصر ، قدم مع تورانشاه إلى اليمن وناب عنه في حكم عدن وتوابعها، توفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . ينظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٢،ص١٠٣.

[٤٠]مبارك الكناني : هو سيف الدولة أبو الميمون بن منقذ ، كان من كبار أمراء الدولة الأيوبية في مصر على عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، قدم أيضا مع تورانشاه إلى اليمن وناب عنه في حكم زبيد، ثم فارقها وأناب عنه أخاه حطان ورجع إلى دمشق ومنها إلى مصر .ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١،ص٤٤١.

[٤١]ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص٣٣٣ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٢،ص١٠٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨،ص٢٤٩.

[٤٢] وفيات الأعيان ،ج١،ص٢٩٣.

[٤٣] ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص ؛ البنداري ، سنا البرق ،ص١٧٨-١٧٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون، ص٣٨٠ .

[٤٤] ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٢،ص٤٨-٤٩.

(٤٥) القاضي الفاضل : هو أبو علي عبد الرحيم بن علي بن محمد العسقلاني المولد المصري الدار، ولد في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، وتوفي سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م ، تولى الوزارة ورئاسة ديوان الانشاء في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣،ص١٣٣-١٣٨ ؛ وللمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية . ينظر : هادية دجاني شكيل ، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته (بيروت :١٩٩٩م).

(٤٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج١،ص٢٩٤.

(٤٧) ابن علي، غاية الأماني ،ص٣٢٥-٣٢٦ ؛ محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني، ط٢(الرياض :١٩٨٢م)،ج١،ص١٧٥.

(٤٨) ابو شامة ، الروضتين ،ج١،ص٢٥٩ ؛ البنداري ، سنا البرق،ص١٨٠.

(٤٩) ست الشام : هي أخت الناصر صلاح الدين الأيوبي وشقيقة الملك المعظم تورانشاه حاكم اليمن، تزوجت أول مرة الأمير لاجين وأنجبت منه ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وبعد وفاته تزوجت للمرة الثانية من ابن عمها الناصر محمد بن شيركوه حاكم حمص ، توفيت بدمشق في ١٦ذي القعدة سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج١،ص٢٩٣ ؛ الحنبلي ،شفاء القلوب ،ص٢٢٩ .

(٥٠) ابن شداد ، النوادر السلطانية ،ص٥٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان،ج١،ص٢٩٣ ؛ أبو مخرمة ،تاريخ ثغر عدن،ج٢،ص٢٨.

(٥١) ذي جبلة : وتسمى أيضا ذات النهرين ، وتعد أفضل المدن اليمنية واطيبها . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٢،ص١٠٦.

(٥٢) ابن الديبع ، قرة العيون ،ص٣٨٤ ؛ ابن علي ، غاية الأماني،ص٣٢٧.

(٥٣) مفرج الكروب،ج٢،ص١٠٤.

(٥٤) ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص٣٣٩ ؛ أبو الفدا ، المختصر،ج٢،ص١٤٤.

(٥٥) الروضتين ،ج٢،ص٢٦.

(٥٦) أبو شامة ، الروضتين ،ج٢،ص٢٦.

(٥٧) ابن واصل ، مفرج الكروب،ج٢،ص١٠٥-١٠٦.

(٥٨) محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير (بيروت : ١٩٦٤م)،ص١٢٤-١٢٧.

(٥٩)ابنالأثير،الكامل،ج٩،ص٣٣٩-٣٤٠؛أبوشامة،الروضتين،ج٢،ص٢٦ ؛ المقريزي،السلوك،ج١،ص١٨٩-٢٠٠.

(٦٠) ابن واصل ، مفرج الكروب،ج٢،ص٤٦٧ ؛ ابن علي ،غاية الأماني ،ص٣٢٩.

(٦١) حصن حب : معقل مشهور باليمن من نواحي سبأ . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢،ص٢١١.

(٦٢) ابن علي ، غاية الأماني ،ص٤١٧ .

(٦٣) العقيلي ، تاريخ المخلاف ،ج١،ص١٧٦-١٧٧.

(٦٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٢،ص٤٣٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب،ج٢٨،ص٣٠٤.

(٦٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٢،ص٣٤٨.

(٦٦) الحنبلي ، شفاء القلوب ،ص٢٧١.

(٦٧) محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحقيق: ،ج٢٧،ص٤٥٢ ؛ علي بن أنجب الدين بن الساعي، الجامع المختصر في عيون التواريخ والسير(بغداد :١٩٣٤م)،ج٩،ص٩٧.

(٦٨) الإسماعيلية:ظهرت الدعوة الإسماعيلية في أواخر عهد الخلافة الأموية عندما انضم عدد كبير من الزيدية إلى طائفة الإسماعيلية ، وانقسمت الإمامية بعده إلى قسمين بسبب إختلاف الرأي في كيفية تحديد الحق الوراثي لإختيار الإمام ، وهما الإمامية الموسوية نسبة إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو عندهم الإمام السابع ، وقد اطلق عليها فيما بعد الأثنا عشرية ، والإمامية الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهو أكبر أولاده من أبيه، ثم اطلق على هذه الطائفة اسم السبعية أو الإسماعيلية لتميزهم عن الأثني عشرية . ينظر : طقوش ، تأريخ الأيوبيين، ص٣٢ .

(٦٩) خير الدين الزركلي ، الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٦(بيروت :٢٠٠٥م)،ج١،ص٣١٦.

(٧٠) ابن الأثير ، الكامل ،ج٩،ص٥٠٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣،ص١٣٦ ؛ زين الدين عمر بن المظفر الشهير بابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (بيروت :١٩٩٦م)،ج٢،ص١١٧-١١٨ ؛ أحمد بن ابراهيم الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق : ناظم رشيد(بغداد:١٩٧٨م)،ص٢٧١-٢٧٢.

(٧١) العقيلي ، تاريخ المخلاف ،ج١،ص١٧٨.

(٧٢) ابن الديبع ، قرة العيون ،ص٤٠٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٢،ص٤٣١.

(٧٣) العقيلي ، تاريخ المخلاف ،ج١،ص١٧٩.

(٧٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٣،ص١٣٦-١٣٧ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج٢،ص١٩٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ،ج٢،ص١١٧.

(٧٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٣،ص١٣٧.

(٧٦) حسين ، الحجاز،ص١٠٨.

(٧٧) محمد بن محمد بن يحيى زيارة ، أئمة اليمن (تعز : ١٩٥٢م)،ج١،ص١٣٣.

(٧٨) العقيلي ، تاريخ المخلاف ،ج١،ص١٧٩ ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ،ص٢٧٢.

(٧٩) العقيلي ، تأريخ المخلاف ،ج١،ص١٨٠.

(٨٠) الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ج٢٧،ص٤٥٣ ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ،ص٧٤.

(٨١) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التأريخ (القاهرة :١٩٦٣م)،ص٢٠٨.

(٨٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣،ص١٣٩ ؛ أبو الفدا ،المختصر ،ج٢،ص١٩٢ ؛ الحنبلي، شفاء القلوب ،ص٧٥.

(٨٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٣،ص١٣٧-١٣٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٩،ص٤١ ؛ ابن علي، غاية الأماني ،ص٣٥٧-٣٥٨ .

(٨٤) النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٩،ص٤١-٤٢ .

(٨٥) أبو الفدا ، المختصر ،ج٢،ص٢٠٩ ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ،ص١١٢.

(٨٦) الأقسيس : والأصح أطسيس : وهي كلمة تركية تعني بالعربية (ماله اسم) ويقال : إنما سمي بهذا الاسم لان الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلما رزق بولد قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك: في بلادنا إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس ، والناس يقولون بالقاف وصوابه بالطاء . ينظر: ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج٤،ص٣٢٦ ؛ ابن واصل ، مقرج الكروب ،ج٣،ص٢٢٧.

(٨٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٣،ص٢٢٧.

(٨٨) ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج٣،ص١٣٨.

(٨٩) حسين ، الحجاز،ص١١١.

(٩٠) زيادة ، أئمة اليمن ،ج١،ص١٣٢.

(٩١) أبو الفدا ، المختصر ،ج٢،ص١٩٢-١٩٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ،ج٢،ص١٣٠ ؛ الحنبلي، شفاء القلوب ،ص١١٢.

(٩٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٤،ص٣٢٤،٣٢٩ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٩،ص٤١ ؛ جمال الدين يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة: د.ت)،ج٦،ص٢٣٤.

(٩٣) ابن الديبع ، قرة العيون ،ص٤١٢-٤١٣.

(٩٤) أبو الفدا ، المختصر ،ج٢،ص٢٠٩ ؛ المقريزي ، السلوك ،ج١،ص٣٠١.

(٩٥)قادها الملك الفرنسي لويس التاسع **Louis XI**(٦٢٤-٦٦٧هـ/ ١٢٢٦-١٢٦٨م) سنة٦٤٧هـ/١٢٤٩م. وأفضل دراسة عن الحملة الصليبية السابعة قدمها جوزيف نسيم يوسف ،العدوان الصليبي على بلاد الشام، هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة (بيروت :١٩٨١م).

(٩٦) أبو الفدا ،المختصر ، ج٢،ص٢٤١.

(٩٧) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،ج٨،ص٦٠٢.

(٩٨) النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٩،ص٨٣-٨٤ ؛ ابراهيم ياسين الخطيب ، القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبي (عمان : ٢٠٠٠م)،ص٩٧.

(٩٩) عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت : د.ت)،ج٧، ،ص٨٤ ؛ ابن علي، غاية الأماني ،ص٤١٧.

(١٠٠) سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد بن عبادي بن عبد الحليم ،ط٣(القاهرة :٢٠٠٣م)،ج١٣،ص١٧٦.

(١٠١) نهاية الأرب ،ج٢٩،ص١٠٣ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،ج٧،ص٢١١.

(١٠٢)وفيات الأعيان ،ج٤،ص٣٣٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام ،ج١٣،ص١٧٦.

(١٠٣) أبو الفدا ، المختصر ،ج٢،ص٢٤١ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ،ج٢،ص١٤٨ ؛ المقريزي، السلوك ،ج١،ص٣٥٨.

(١٠٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ،ج٢،ص٢٩٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ،ص٤٢٢ ابن علي ، غاية الأماني، ص٤١٧.

(١٠٥) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي (القاهرة:١٩٥٦م)،ج١،ص٤٠ ؛ ابن علي ، غاية الأماني ،ص٤١٧-٤١٨.

(١٠٦) النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٩،ص١٠٣-١٠٤.

(١٠٧) الخوارزمية : نشأت الدولة الخوارزمية في إقليم خوارزم الواقع في المجرى الأسفل لنهر جيحون، ويرجع نسب أمرائها إلى مملوك تركي يدعى أنوشتكين الذي كان حاكما على إقليم خوارزم في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) ، وبعد وفاة أنوشتكين تولى الحكم ابنه قطب الدين محمد ولقب نفسه خوارزم شاه أي ملك خوارزم . ينظر : نافع توفيق العبود ، الدولة الخوارزمية نشأتها ، علاقاتها مع الدول الإسلامية ، نظمها العسكرية والإدارية (بغداد : ١٩٧٨م)،ص١١-١٣.

(١٠٨) حسين ، الحجاز ،ص١١٣-١١٤.

(١٠٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ،ج١،ص٥٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٩،ص١٠٤.

(١١٠) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد (القاهرة: ١٩٥٩م)،ج٦،ص٣٤٣.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.